العدد (2235) السنة التاسعة - الأحد (28) آب 2011 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

جسر

ميناء مبارك

د. سعد بن طفلة العجمي

مهم جدا أن يعرف العراقيون الموقف الكويتي من مسألة ميناء مبارك على جزيرة بوبيان الكويتية. ما يميز الكويتيين- وهذه مسألة أثبتها التاريخ عام ١٩٩٠- هو وحدتهم وتماسكهم إن شعروا بخطر خارجي يتهددهم. والمصارحة تقتضي أن نقول بأن العراق لا يزال يرتبط بالعقل الباطن الكويتي بالغزو عام ١٩٩٠، وبالتالي فإن أي أزمة –حتى وإن كانت مفتعلة أو مختلقة- تذكّر كثيراً من الكويتيين بالغزو والاحتلال مباشرة، وهو منطق غير صحيح من جهة الكويتيين، ولكن تغذيه لغة "صدّامية" لا تزال بعض وسائل الإعلام العراقية وبعض الشخصيات السياسية العراقية تنفثها. صحيح أن بعض وسائل الإعلام الكويتية ليست مصاحف مطهرة، وأن بعض شخصياتها السياسية ليسوا ملائكة، ولكن المثل يقول: اللي تلدغه الحية، يخاف من الحبل. ويأتي تهديد تنظيم إرهابي عراقي اسمه "حزب الله" بقصف الميناء ليصب في تعزيز هذا القلق.

هذه المقدمة ضرورية لمحاولة شرح التصعيد غير المبرر حول مسألة ميناء مبارك الكويتي، فالمسألة كالآتي:

الكويت تبني ميناء على أرضها، هذا الميناء هدفه إعادة إعمار العراق بالدرجة الأولى، فهو لم يبن للتجارة مع النمسا ولا مع بوليفيا، وأقرب الأسواق إليه، بل السوق الوحيد المقارب له هو السوق العراقي الكبير، وقد تناقش به الكويتيون مع جيرانهم العراقيين قبل البدء ببنائه، وهذه المناقشات مسجلة ومثبتة بمحاضر لقاءات اللجنة الكويتية-العراقية العليا منذ عام ٢٠٠٧، وقد اتفق الطرفان على أن الميناء لا يشكل أي عائق من قريب أو بعيد للتجارة العراقية ولا أمام الملاحة العراقية والموانىء العراقية، وهذا مثبت في وثائق الخارجية العراقية بتاريخ ٢٩ مايو/أيار الماضي حيث تشير فيه بالحرف إلى "إن إنشاء ميناء مبارك لن يؤدي بأي شكل من الأشكال إلى خنق العراق اقتصاديا أو التحكم بتجارته البحرية لأنه لن يؤثر على حركة الملاحة في القناة البحرية في خور عبدالله". وهو الأمر الذي أكده السيد وزير خارجية العراق –هوشيار زيباري- بلقاء على البي بي سي يوم ١٢ أغسطس/آب ٢٠١١.

وهناك تساؤل بسيط: هل يمكن أن تقدم الكويت المسالمة على التحرّش بالعراق أو بغير العراق عن طريق بناء ميناء يكلفها المليارات؟ فماذا لو رفض العراق التعامل مع هذا الميناء؟ هل يمكن أن تقدم الكويت على رمي مليارتها بالبحر لأنها تريد إيذاء العراق ببناء ميناء لا يريد العراق التعامل معه؟ ومع من سيتعامل الميناء لو رفض العراق استيراد أي شيء منه؟ حدّث العاقل بما لا يعقل، فإن صدّق فلا عقل له!

علينا جميعا أن نجهض أية محاولات لخلق المشاكل بيننا، وننظر لميناء مبارك كجسر تعاون يمكن للعراق أن يستفيد منه، ويستأجر أرصفة خاصة به، ويمكن أن يكون منطقة حرة مشتركة بين البلدين ينعش جنوب العراق، ويعود بالخير على الكويت وشمال الخليج، ويفرض واقعا اقتصاديا جديدا بين جنوب العراق وبين منطقة الخليج، ويقطع دابر نوايا تخريب العلاقات دون مبرر مفهوم.

ومع وضوح الموقف الكويتي حول الميناء، فإنني أكرر موقفي ككويتي وأطالب حكومتي بالتوقف عن بناء الميناء حتى يطمئن العراق إلى أن الميناء ذو جدوى للطرفين. لكن المشكلة أي عراق يجب أن يطمئن لجدوى الميناء؟ فهناك بعض الأطراف العراقية التي لن تقبل بالميناء وتريد تحويله "مسمار حجا" لإجهاض أي محاولات حقيقية لتعزيز علاقة البلدين على أسس اقتصادية ومنفعة متبادلة بين الشعبين، وبصراحة، فإن هذه الأطراف لن تقبل بالميناء لو بنته الكويت بخليج المكسيك وليس الخليج العربي!!

وللموضوع عودة.

ثغرات يمكن تجاوزها

"القاعدة".. بداية هزيمة وسبل المواجهة المتاحة

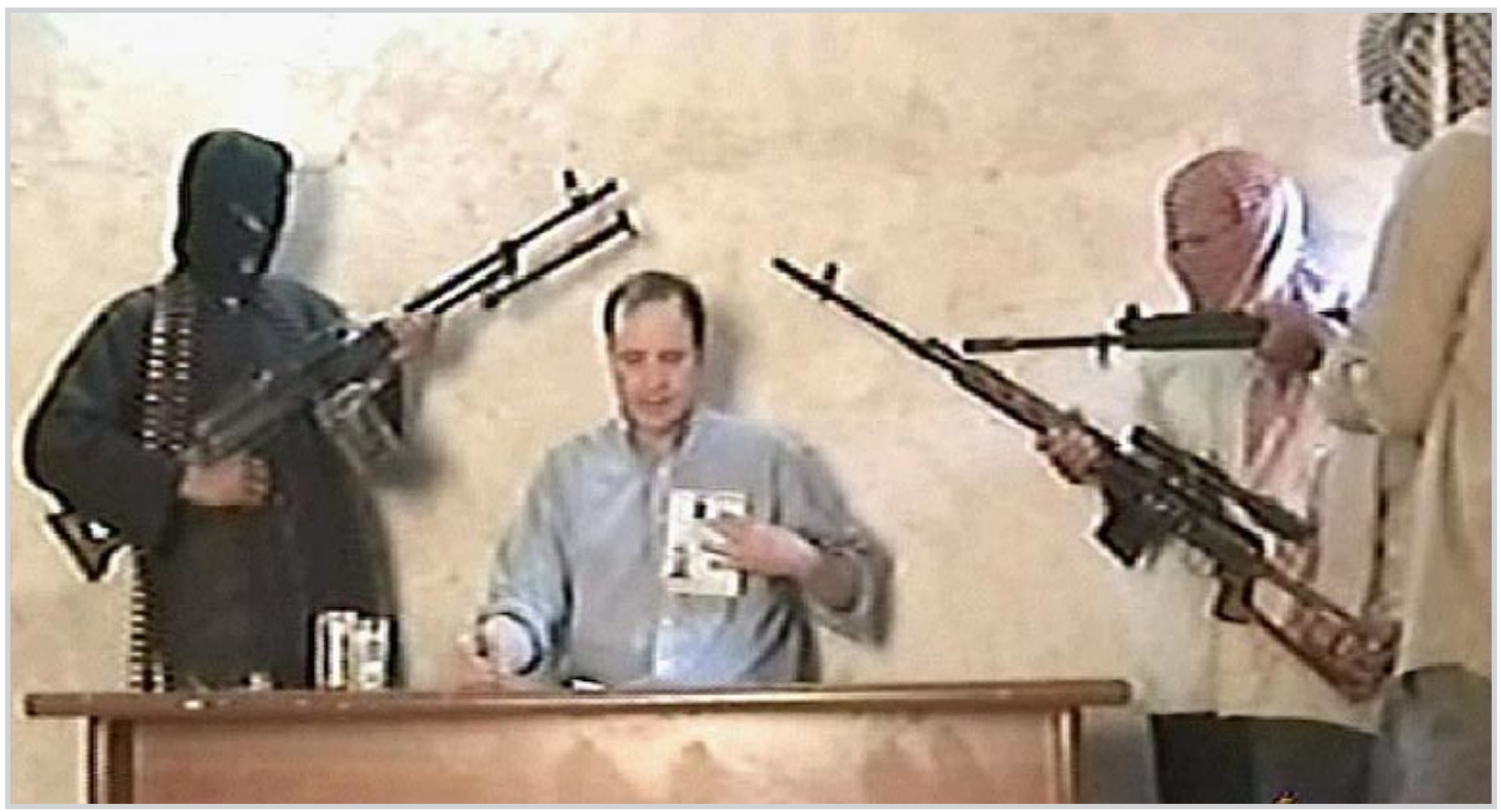

طارق الجبوري

كيف دخلت القاعدة إلى العراق ؟ وما هي مصادر قوتها ونقاط ضعفها ؟ وما هو حجمها الحقيقي الآن بعد كل تلك الضربات الموجعة التي تلقتها على أيدي الأجهزة الأمنية وقتل زعيمها بن لادن على يد القوات الأميركية . أسئلة كثيرة وحساسة قد تحتاج إلى تركيز وبحوث متخصصة لكي نفهم العقلية التي تدير هذا التنظيم الإرهابي، وبالتالي إمكانية وضع وسائل مواجهته . لكنا هنا سنحاول فتح باب ما زال موصداً أمام الباحثين خاصة من العاملين في مجال مكافحة التنظيمات الإرهابية لاغنائه بآرائهم التي لا تتقاطع مع سرية العمل الأمني .

وللإجابة على كل تلك التساؤلات وما ينتج عنها لابد أولا من الإشارة إلى حقيقة قد تضيع وسط حساسية الموضوع وتعقيداته . حقيقة لابد من الانتباه إليها مفادها إن من الخطأ الإيهام بان خطر القاعدة قد زال وولى في العراق، مثلما من المهم التأكيد على عدم تضخيم وضعها وإعطائها أكثر من حجمها . فهي في أكثر الأحوال تنظيم إرهابي فقد الكثير من مبررات وجوده بعد أن ظل يراهن على دعوات جهادية ضد المحتل" فقدت بريقها وافتضحت غاياتها منذ أن عمد بتركيز كل عملياته الإرهابية في الأسواق وأمكن تجمعات عمال البناء وغيرها من المناطق المدنية مستهدفاً بشكل واضح المواطنين الأبرياء . وكان من الطبيعي أن تتطفل هذه العصابات على بعض الظواهر الشاذة التي صاحبت العملية السياسية وبشكل خاص الطائفية ومحاولة إبقاء فتيل هذه الفتنة مشتعلاً في المجتمع ، لذا فان مراجعة مسلسل جرائمها يوضح بما لا يقبل الشك إن خط تصاعدها تزامن مع أحداث تفجير مرقد الإمامين العسكريين في شباط ٢٠٠٦، واخذ يتنامى تدريجياً مع امتداد هذه الظاهرة في عدد من المناطق ، وتناغم برنامجها الإرهابي مع ميليشيات أخرى ، بهدف سيطرة كل واحد على مناطق بعينها وفرض نظرياته المتطرفة وما يرافقها من عمليات قتل وترهيب للمواطنين .المهم إن الإجابة على التساؤل الأول تقتضي مراجعة سريعة للحركات الدينية في العراق وصراعها على مر التاريخ منذ أن كانت الكوفة من أكثر الأمصار التي يحسب لها الخليفة ألف حساب خاصة منذ العهد الأموي ، فمدرسة الكوفة كانت بعد مدرسة المدينة مصدر وينبوع العديد من الأفكار ، ومنها انبثقت مدارس ومذاهب فكرية ظلت محل جدل واسع ما زالت آثارها لحد الآن ، لذا فليس غريباً أن يكون العراق مهد اغلب الحركات الاحتجاجية وحاضنتها ، ووقعت على أرضه معارك دامية على هذا الطريق . لانريد هنا أن نغور في عمق التاريخ حتى لا نبتعد عن جوهر موضوعنا الأساس المتعلق بتنظيم القاعدة وإفرازاته ، وعليه سنركز هنا على الملامح الأولى لظهور هذا التنظيم وتواجد عناصره في العراق وعلاقته بالتنظيمات الأخرى التي كانت معروفة في العراق كالإخوان المسلمين وحزب التحرير الذي انشقت عناصره من الإخوان لتتخذ من العمل العسكري المسلح طريقاً لتغيير الأنظمة التي لا تعتمد الإسلام منهجاً وحيداً لإدارة الحكم بحسب تعبيرها . وبسبب طبيعة الصراع بين ما كان يسمى بالأنظمة الرجعية بمصطلحات العمل السياسي التي كانت تقودها المملكة العربية السعودية ، و الأنظمة " التقدمية " التي جاءت نتيجة الانقلابات العسكرية ، فان نشاط هذه التنظيمات كان مركزاً ضد الأنظمة الجديدة في المحيط العربي وظهر بشكل واضح في مصر والعراق وسوريا . وقد تلقت هذه التنظيمات ضربات موجعة ومؤذية أدت إلى انحسارها بشكل شبه نهائي من ساحة العمل السياسي ، ناهيك عن أن موجة من الأفكار القومية واليسارية بمختلف تنوعاتها طغت مجتمعاتنا لتكون البديل عن الأفكار الدينية التي ارتبطت بالخلافة العثمانية ومساوئها بشكل كبير ، ما عزز موقع الأفكار الجديدة في المجتمعات العربية ومنها العراق . ويمكن عد البدايات الأولى للظهور العسكري والقوي للقاعدة في أفغانستان عندما تصاعد نفوذها بشكل كبير بعد انسحاب جيوش الاتحاد السوفيتي بعد حرب استمرت عشر سنوات (من عام ١٩٧٩ ـ ١٩٨٩) ،وكانت القوات السوفيتية قد دخلت أفغانستان بطلب من حكومتها على وفق معاهدة كان السوفيت قد وقعوها مع النظام الأفغاني الجديد لحزب الشعب الديمقراطي الأفغاني الذي أطاح بحكم داود عام ١٩٧٨ وواجه كثيرا من المشاكل بعضها داخلي يتحمل هو جزءا منها والآخر خارجي قادته الولايات المتحدة الأميركية وآزرته السعودية وباكستان بشكل خاص مادياً ومعنوياً بمختلف الوسائل، ومنها إدخال مقاتلين عرب من السعودية والخليج إلى أفغانستان لمقاتلة السوفيت وهم ما أطلق عليهم في ما بعد " المجاهدون العرب " الذين كانوا -كما يبدو- نواة نشر القاعدة في المنطقة و نفذت عمليات إرهابية حتى داخل الدول التي صنعتها ودعمتها وهكذا بقي هذا التنظيم يمتد وتتوسع اذرعه بحجج مواجهة المحتلين . ونعتقد أن هذا التنظيم الإرهابي وجد أولى حاضناته في تسعينات القرن الماضي وعمل بأسماء مختلفة مستغلاً ضعف النظام في تلك الفترة كما إن بعض عناصره دخلوا العراق مع فتح باب التطوع للعرب لمواجهة الأميركان التي أطلقها النظام المباد ، لكنه انتشر بعد ذلك بفعل ظروف عديدة من بينها بقاء الحدود العراقية مع دول الجوار سائبة ومفتوحة ، ومع ذلك وبحسب معلومات ميدانية من بعض المناطق في بغداد التي تمركزت فيها القاعدة لاحقاً ، فان بداياتها كانت ضعيفة ، لكنها سرعان ما استقوت وفرضت إرادتها وسطوتها على تيارات حليفة لها ، بل إنها صفت واغتالت عددا غير قليل من قادة فصائل عسكرية أخرى خالفتها الرأي ، خاصة ما يتعلق باستهداف المدنيين . إن طبيعة المجتمع الحضري خاصة في بغداد متداخل ومبني على قيم بعيدة إلى حد كبير عن الطائفية ، غير أن تركيز الأميريكان بعد احتلالهم العراق على المحاصصة الطائفية بأسوأ صورها أسهم بشكل غير مباشر في تقوية هذا التنظيم الإرهابي وأمدّ في عمر بقائه .

إن أبرز نقاط قوة القاعدة بحسب رأينا هو هذا المد الطائفي الذي اجتاح البلاد بعد ٢٠٠٤ وصعد تدريجيا ليصل ذروته في ٢٠٠٥.٢٠٠٦ والذي يتيح لها بث سمومها في عقول ضعاف النفوس واستثمار حالة الخوف والهلع بين صفوفهم خاصة الشباب، دون أن نغفل الجانب المادي وأهميته ، ودون إهمال بقاء عدد غير قليل من موظفي الأجهزة المنحلة من ذوي الدرجات الوظيفية البسيطة بدون عمل ، وازدياد البطالة بين صفوف الشباب . ونعتقد انه مع تقديرنا للمخاطر الكبيرة التي واجهت الأجهزة الأمنية فان بعض عناصرها ارتكبوا أخطاء وخروقات استثمرت من المجاميع الإرهابية بشكل سيىء لتجنيد عناصر إلى صفوفها . وبقدر أهمية الإجراءات الأمنية وتطور عناصرها التي حققت نجاحات لا يمكن الاستهانة بها ، خاصة في مجال مطاردة عناصر الميليشيات بمختلف مسمياتها وبشكل خاص القاعدة ، نقول رغم أهمية كل ذلك ، فان المعول الرئيس الذي اضعف القاعدة ويشتت نشاطها ويجفف منابعها مستقبلاً يكمن أولا في جملة إجراءات تبدأ أولاً بترسيخ روح المواطنة في المجتمع و تعزيز ثقة المواطن بأطراف العملية السياسية . فكثير من المواطنين ، رغم إيمانه بالعملية السياسية ما زال يعيش حالة قلق مشروع جراء ما قترفته رموز العملية السياسية من أخطاء سياسية واقتصادية واجتماعية ، أدت إلى صعوبة الفرز بين ذاك الصوت الناقد والناصح وبين من يسعى لاستهداف العملية السياسية وتقويضها من الأساس، مستغلاً الثغرات الكبيرة والخطيرة التي شوهت العملية السياسية ، لذا فان جهداً كبيراً يقع على عاتق النخب السياسية لانجاز هذه المهمة ، إضافة إلى ما يمكن أن تلعبه منظمات المجتمع المدني من دور في هذا المجال إذا ما أعطيت الفرصة لذلك . ونحسب أن هنالك في العراق وكما يفترض مركزاً بحثياً متخصصاً يتابع نشاطات وتحركات هذا التنظيم الإرهابي ويعد الدراسات حوله لتعتمدها الأجهزة الأمنية في وضع خططها لمواجهته . إننا ما زلنا لحد الآن نعتمد في خططنا الأمنية على رد الفعل وليس الفعل الاستباقي المدروس ، ما أتاح لعناصر هذا التنظيم المجرم تنفيذ عملياته الإرهابية بين فترة وأخرى ، مع تغيير خططه بحسب المتغيرات التي تواجهه . ومع تقديرنا للآراء التي تشير إلى أن سبب الضعف الذي لحق بالقاعدة في العراق وما واجهته من انتكاسات عسكرية يعود إلى خطأ ستراتيجية أبو أيوب المصري الذي خلف أبو مصعب الزرقاوي ، فإننا نعتقد بان أهم ما أصاب هذا التنظيم بالضعف نفض شرائح كبيرة من المواطنين يدهم منه بعد أن تكشفت مراميه ، إضافة إلى بوادر سيادة القانون في المناطق بدلاً من الميليشيات . ونظن أن اعتماد التنظيم الإرهابي وسيلة الإعلام والتهديد بشن مئة عملية في أنحاء العراق ، مع ما رافقها من توزيع منشورات في عدد من مناطق بغداد تحذر الصحوات وتدعو منتسبي الجيش والشرطة إلى الهروب ، دليل ضعف أكثر منه دليل قوة .ولكن رغم ما يعانيه من حالة وهن فان مسؤولية القضاء على هذا التنظيم الإرهابي تتطلب تصحيحا كبيرا في علاقة إطراف العملية السياسية مع المواطنين ، وان تعمل الحكومة على وفق برنامج لمحاربة الفساد المستشري ونهب الثروات والحد من معاناة المواطنين ورسم برامج عمل للنهضة والتطور يعيد الآمال لملايين المواطنين .. آمال غيبتها مصالح ضيقة ومصالح شخصية .. كانت هي الثغرات التي منحت هؤلاء المجرمين مفاتيح بقاء سمومهم وأفكارهم تهدد أمننا حتى هذه اللحظة .

التنمية البشرية: عشرون عنواناً من التطوّر

د. مهدي صالح دوّاي

احتفل البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة بصدور التقرير (٢٠) من تقارير التنمية البشرية، التي انطلق تقريرها الأول في عام ١٩٩٠، تلك التنمية التي اختطت نهجا" مغايرا" لما سبقها، في محاولة جديدة لفهم التخلف، والسعي لحلول وآليات معاصرة لعلاجه وفقا" لأبعاد تتجاوز المؤشرات التقليدية الآنية، لتشمل رؤى معاصرة لاستثمار الحاضر، والتطلع إلى المستقبل من خلال التواصل معه ماديا" وبيئيا" وتكنولوجيا" واجتماعيا" عن طريق تمكين وإنصاف رأس المال البشري، وتأهيله نوعيا" باعتباره الوسيلة والهدف.

واللافت في أبعاد التنمية البشرية، تنوع مواضيعها من جهة، وقبولها الدولي (المتقدم والنامي) من جهة ثانية، إذ باتت دول العالم تتسابق للحصول على مراكز متقدمة في أدائها التنموي، لما يشكله ذلك من انجازات نوعية تفتخر بها الدول، وقد دأب البرنامج الإنمائي على اختيار عناوين مميزة لتقاريره السنوية لتكون مضامينها برامج عمل لتقديم المزيد من الحرية وتعدد الخيارات بهدف إطلاق مكنونات الإنسان الإبداعية بعيدا" عن القيود المادية والمعنوية والنفسية، وستضم الأقواس المبينة في الفقرات الآتية مسحا" لعناوين التقارير حسب سنوات صدورها من (١٩٩٠-٢٠١٠) مشفوعة بأسطر من التقييمات الفكرية لهذا النهج التنموي المعاصر: جاء التقرير الأول بعنوان (مفهوم وقياس التنمية البشرية)، متضمنا" استدراجا" تاريخيا" لجهود النمو والتنمية لعقود مابعد الحرب العالمية الثانية وصولا" إلى وضع صياغات نظرية رأت، بان تحقق النمو الاقتصادي ليس بالضرورة هو الهدف، وإنما الكيفيات التي يدار ويوزع بها هذا النمو لمنفعة الناس، وبهذا الإقرار انعطف الفكر التنموي المعاصر نحو أسبقيات العدالة والأهداف النوعية كعناوين جديدة لتطوّر الإنسان. وفي هذا التقرير تم تصميم دليل مركب للتنمية البشرية راعى مؤشرات الدخل والصحة والتعليم ليكون أساسا" في قياس أداء الدول والمقارنة في ما بينها.

لعل في اختيار عنوان (تمويل التنمية البشرية) للتقرير الثاني مايجزم بأهمية الأدوار الايجابية للسياسة المالية في دعم تطلعات التنمية البشرية، فلا إنصاف مع احتكار قلة لمصادر التمويل، ولاعقلانية اقتصادية مع إسراف مالي غير منتج، ولا حرية مع تفاوت كبير في توزيع الدخل. ويحمل العنوان الثالث (الأبعاد الدولية للتنمية البشرية) تدويلا" مبررا" لقضايا التنمية البشرية بعدما اتسعت مظاهر الهجرة والمعوقات التجارية والدين الدولي، وجميعها تسهم في استمرارية عدم المساواة بين الأمم.ولتأصيل الجانب الإنساني في قضايا التنمية البشرية، جاء عنوان (المشاركة الشعبية) ليؤكد الحاجة إلى تنمية بادوار شعبية في التخطيط والإدارة لها، لاسيما مع وجود نزعات لامركزية في الإدارة مع تنامي دور مؤسسات المجتمع المدني وادوار ايجابية للرقابة الشعبية. ومن منطلق التحرر من الخوف والعوز بأشكالهما العديدة، تناول التقرير الخامس بعنوانه (الأبعاد الجديدة للأمن البشري) مفاهيم جديدة للأمن البشري ليس على مستوى الجهود المحلية فحسب وإنما على المستوى الدولي، وقد جسد هذه الرؤية الكاتب التنموي د. باسل البستاني بقوله ؛ (ينبغي أن تقوم الشراكة الاقتصادية على أساس المصالح المتبادلة وليس على الإحسان، وعلى أساس التعاون وليس على المجابهة، وعلى أساس اقتسام السوق وليس على الحمائية، وعلى أساس الدولية البعيدة النظر وليس على القومية العنيدة). وكان تقرير عام ١٩٩٥ المعنون (قياس عدم المساواة بين الجنسين) صريحا" بدعواته للمزيد من إشراك المرأة في جهود التنمية البشرية، أو مايعرف بتجنيس التنمية، لاسيما في المجتمعات الأقل نموا"، وقد تم تصميم دليل فرعي لاستيعاب ادوار جديدة للمرأة لتنويع أبعاد التنمية البشرية.

لقد اقترب التقرير السابع كثيرا" لفك الاشتباك بين مفهومي النمو والتنمية، إذ جاء بعنوان (النمو كوسيلة للتنمية) ليؤكد مضامين مادية وأخرى نوعية تحققها الشراكة بين المفهومين، فلا تنمية بدون نمو يدعم برامجها النوعية، ولا نمو بلا تنمية لرأس المال البشري تدعم برامجه المادية. وفي طرحه المميز جاء عنوان (مقاومة قوى الفقر الجديدة في عالم متغير) ليشير إلى أبعاد جديدة للفقر تتجاوز المؤشرات المادية لتشمل مايعرف بفقر القدرات، فكان لابد من طرح حزمة من الحلول المحلية والدولية لمعالجة مظاهر الفقر المتنوعة وأهمها ؛ تمكين الناس في مجالات التعليم والتدريب واكتساب المهارات الجديدة.

وفي التقرير التاسع المعنون (الاستهلاك من زاوية التنمية البشرية) كان التركيز واضحا" على الآثار البيئية السلبية للاستهلاك غير المنضبط، والذي أفرطت به الدول المتقدمة وتحملت نتائجه الدول النامية بانتكاسات غير مسبوقة في أنظمة البيئة، فالدعوة صريحة لاستهلاك أكثر عدالة دوليا" واقرب صداقة" للبيئة. وفي عام ١٩٩٩ صدر التقرير العاشر بعنوان (العولمة بشكل إنساني)، مثيرا" العديد من التساؤلات حول توظيف العولمة تنمويا"، فما جاء به الاقتصاد المعولم لا يمكن ضبطه إلا بتعاون دولي مغاير لمرحلة ما قبل العولمة، فالعالم بحاجة إلى حاكمية دولية أكثر ميلا" لتطلعات العالم التنموية لاسيما مع وجود أنظمة اتصال وتواصل قرّبت تباينات العالم. لقد دشّن تقرير عام ٢٠٠٠ الألفية الثالثة تحت عنوان (حقوق الإنسان والتنمية البشرية)، ومع أن طرح قضايا حقوق الإنسان ليس بأمر جديد، إلا أن ما أضافه التقرير يتعلق بنوعية تلك الحقوق، وتوسع رعاتها لتكون جزءا" أساسيا" من تطلعات المجتمع الدولي المعاصر، وبالتالي فان تلك الحقوق لا تأتي مكافأة من التنمية، وإنما هي مركزية لتحقيق هذه التنمية.

ومن عمق ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات انطلق التقرير (١٢) المعنون (توظيف التقنية الحديثة لخدمة التنمية البشرية) لخلق روابط جديدة بين التقنية والتنمية، من شأنها إعادة هيكلة نظم الإنتاج بما يعزز فرص القضاء على الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، ولا يتأتى هذا الانجاز إلا عن طريق رؤى دولية أكثر اهتماما"بالبشر.

وتحت عنوان (الديمقراطية المعمقة في عالم مجزأ) أراد هذا التقرير أن يضع توصيفات لديمقراطية ترعى التنمية، وتراعي المتغيرات المفصلية للألفية الثالثة، فالديمقراطية التي تفضي إلى الحاكمية الجيدة سترعى حتما" تنمية بشرية واعدة، وتجنب مسيرتها أشكال الفساد المتعددة، وفي ذلك ربط" ضمني" لادوار السياسة الفاعلة في تحقيق تطلعات الناس نحو التغيير الايجابي في حياتهم. وضمن رؤية إستراتيجية للجهود الدولية جاء عنوان تقرير ٢٠٠٣ (أهداف التنمية للألفية: تعاهد بين الأمم)، ليؤكد أهمية القواسم المشتركة في تبني برامج للتنمية البشرية على المستوى الدولي، فكان أن وضعت أهداف حتى عام ٢٠١٥ لتحسين نوعية الحياة عبر مجالات التعليم والصحة والدخل عبر حزمة من الإجراءات والبرامج الدولية، أهمها المعونات والديون والتجارة والنقل و التقانة... وفي ظل تعدد الثقافات المحلية والدولية تعاطى التقرير المعنون (الحرية الثقافية في عالم متباين) مع قضية بالغة الأهمية في إنجاح أو إحباط جهود التنمية البشرية، ألا وهي مسألة تعدد الانتماءات الثقافية، فالعولمة قد تطيح بثقافات وتبرّز أخرى، فعالم اليوم أمام تحدي القدرة على التكيّف مع المتغيرات المعاصرة من دون المساس بالحريات الثقافية للشعوب. وفي تقرير ٢٠٠٥ المعنون (المعونة والتجارة والأمن في عالم غير متساو) تم التشديد على تأمين العناصر الثلاث التي تضمنها العنوان بعدما تم رصد قصور في تحقيق الأهداف الإنمائية للألفية التي حدد لها عام ٢٠١٥ كهدف. لقد أوجز العنوان (ماهو أبعد من الندرة: شح المياه والمخاطرة والتقلبات) قضية الأمن المائي، فهذا الأمن يمثل الغطاء الواقي للأمن البشري، وعدم تحققه يمثل اختراقا" لمبادئ العدالة بمفاهيمها المتعددة، فكان لزاما" أن تتضافر الجهود المحلية والإقليمية والدولية لتجنب أزمات مائية قد تطيح بجهود التنمية البشرية.

وفي اهتمام آخر ألقت التغيرات المناخية بظلالها على جهود التنمية البشرية، فقد نبّه التقرير المعنون (الصدمات المناخية: التضامن الإنساني في عالم منقسم) إلى ضرورة الاستعداد غير التقليدي لمظاهر الصدمات المناخية (الجفاف والفيضانات والعواصف والاحتباس الحراري) مما يجعل من العمل الدولي الجماعي قضية وليس خيارا لمجابهة الآثار السلبية لتلك التغيرات على انجازات التنمية البشرية.

إن ما يعيق التدويل الايجابي للأنشطة الاقتصادية هو الحواجز أمام انتقال البشر بحثا" عن فرص العمل على عكس الحركة المرنة والسريعة لرؤوس الأموال والسلع، مما يفضي إلى تركز الثروات بيد من يملك المال والمنتجات على حساب نسب عالية من البطالة، هذا ما يطمح التقرير المعنون (التغلب على الحواجز: قابلية التنقل البشري والتنمية) في تجاوزه خدمة لأهداف التنمية البشرية.

وتثمينا "لما ارتقته عناوين التقارير السابقة كان التقرير العشرون بمثابة نظرة تقويمية لما تم انجازه فجاء العنوان (الثروة الحقيقية للأمم: مقررات تمهيدية للتنمية البشرية) ليقر بالأدلة القاطعة بان الثروة الحقيقية تكمن برأس المال البشري، عندما ترعاه بيئات سياسية وتعليمية واقتصادية وثقافية راقية، وهذا غاية التنمية البشرية عندما يكون الإنسان هدفها ووسيلتها. إن ما نصبو إليه من عرضنا المكثف السابق يندرج ضمن إشاعة الثقافة التنموية الراقية للتعاطي مع ما يتبناه الآخرون، لاسيما بعد أن خلا اسم العراق من التقارير الدولية، في حين ضم التقرير الأخير (٧) أقطارا عربية ضمن تصنيف التنمية البشرية العالية، فما تضمنته العناوين يجسد معاني المعاصرة ومواكبة التقنيات الحديثة، فما أحوجنا لتنمية بشرية مستدامة بمواصفات ما ورد ذكره، فتلك التنمية ستمثل البوابة الآمنة نحو العالم بعدما تيقن الجميع بان التطور قضية ذاتية تستمد استقلاليتها من رقيّ البشر.

زراعة الخوف

حسين علي الحمداني

شخصية أبو طبر التي جسدها الفنان المبدع كاظم القريشي، شخصية بدأت غريبة ومتناقضة للبعض، لكنها للبعض الآخر كانت تمثل مرحلة سياسية من المراحل العديدة التي مر بها العراق بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ .

وما توقفت عنده ليس في العمل الفني بل في رد الفعل لدى المتلقي العراقي الذي بدأ متعاطفاً لدرجة ما مع أبو طبر رغم أنه مجرم أرتكب جرائم عديدة في فترة زمنية قصيرة ما بين عامي ١٩٧٣-١٩٧٤ وفي مدينة بغداد فقط دون أن تصل جرائمه للمحافظات.

كنت في البداية أتوقع أن يكون المسلسل مجرد سرد لحوادث إجرامية ،لكنني وجدت بأن جانبا مهما منه كان يدور حول الصراع الخفي بين أركان النظام آنذاك، صراع كان واضحا في أحداث هذا المسلسل وبرز حجم التقاطع الكبير بين رموز الحكم في الكثير من القضايا التي تتعلق بعملية بناء الدولة العراقية وفق إرادات بعيدة كل البعد عن مفهوم البناء الحقيقي للدولة بقدر ما كانت بناء مؤسسات تخضع لهذا الطرف أو ذاك ، خاصة وإن حزب البعث كان يركز كثيراً على بناء أجهزة أمنية أكثر من تركيزه على بناء دولة وتجسد ذلك حتى قبل عام ١٩٦٨ من خلال سعيهم وتكليفهم بين عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٦ المقبور صدام حسين الذي كان في وقته عضواً شاباً في حزب البعث مسؤولية الجهاز الخاص لأمن الحزب والذي كان يسمى جهاز حنين ليأخذ دوره في المستقبل،وهذا الجهاز كان الذراع القوي في ما بعد لتنفيذ ما يصبو إليه هذا الحزب الدموي.

وباعتقادي لو أتيحت لصُناع هذا العمل الفني مزيداً من الرؤية والوضوح وشيئا من الجرأة لتمكنوا من إنجاز عمل تاريخي كبير يجسد مرحلة مهمة من مراحل التاريخ العراقي المعاصر، والتي تتمثل بالقفز على السلطة واحتوائها بشكل كبير جداً من قبل المقبور صدام ومن معه من الذين وجهت إليهم أصابع الاتهام بأنهم يقفون وراء أبو طبر وغيره من الظواهر التي ملأت المشهد العراقي آنذاك،وقد وجدنا من يميل لترجيح هذه الفرضيات في الكثير من المشاهد،وهذه الرمزية في التهمة إنما أريد منها أن يعرف المشاهد العراقي طبيعة النظام السياسي آنذاك وكيفية إدارته أمور البلاد،وكيف يسخر كل الأشياء لمصالحه وتطلعاته بما فيها غير المشروعة والتي تمثلت في أحد جوانبها المهمة بزراعة الخوف لدى الناس.

نعود لمسألة التعاطف التي نالها شخص أبو طبر عبر هذا المسلسل،وعلينا أن نقف وراء الأسباب التي دعت البعض للتعاطف معه ،سنجد بأن أغلبية كبيرة من أبناء الشعب العراقي وخاصة سكان بغداد الذين عايشوا أحداث المرحلة التي تناولها المسلسل ،كانوا على قناعة تامة بأن هذا الشخص ما هو إلا أداة من الأدوات التي استخدمت من قبل بعض رموز النظام لتسقيط الآخرين من جهة ومن جهة أهم تصفية حسابات قديمة مع شخصيات مالية وسياسية وعلمية وغيرها، خاصة وإن بعض عمليات هذا المجرم طالت معارضين سياسيين آنذاك.

وهذا الاستنتاج الذي وصل إليه البعض هو الذي يقف وراء التعاطف الرمزي على اعتبار إن شخصية أبو طبر هي ضحية من ضحايا النظام .

وشخصية كهذه وإن كانت فردية في عملها كما يتصور البعض، إلا إننا وعبر معايشتنا ما حدث في السنوات اللاحقة اكتشفنا بأن (أبو طبر) تحول لمؤسسة مرعبة حقاً ومنظمة بشكل كبير جداً يقودها رجال خبروا الجريمة وفنونها وتخرجوا من أرقى الأكاديميات في العالم ومارسوا رعبهم بشكل كبير جداً على المعارضين العراقيين بمختلف اتجاهاتهم الفكرية والسياسية، والغريب في الأمر أنهم استخدموا الكثير من الأدوات التي كان يستخدمها أبو طبر لدرجة جعلت كل الذين يشككون بأن هذا المجرم هو صنيعة النظام تترسخ لديهم هذه القناعة، خاصة وإن أحد أهم نتائج جرائم أبو طبر تمثلت بهجرة العقول العراقية والرموز الأخرى خارج البلاد في محاولة منها للنجاة بأقل الخسائر مما أتاح الفرصة لمجموعة وجناح من أجنحة الحكم في العراق آنذاك بأن تقفز لقمة السلطة في زمن قياسي جدا وحينها تناسى الجميع عمليات أبو طبر ولم يعد أحد يتذكره إلا من خلال ما شاهدناه عبر شاشة التلفاز مؤخراً .